جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

بيان المقال عن أحوال الجبال يوم القيامة

إعداد

د. عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية ،
كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك،
المملكة العربية السعودية.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

بيان المقال عن أحوال الجبال يوم القيامة

عوّاد بن مرزوق بن معوّض السّناني
قسم الدّراسات الإسلاميّة ، كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Dr.awad999@hotmail.com

ملخص البحث

تحدث الكتاب العزيز عن الجبال وأحوالها، وصفاتها، في الدنيا والآخرة، ومحل هذا البحث والذي جاء بعنوان: "بيان المقال في أحوال الجبال في يوم القيامة "، والذي سأتناول فيه هذا الموضوع من خلال آيات القرآن الكريم التي ذكرت أحوال الجبال وتحدثت عنها، وعن هيئاتها وصورها ومراحلها التي تمر بها بحول الله تعالى وقدرته. وذلك من ثلاثة محاور؛ الأول: بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفردات والألفاظ التي يدور حولها البحث، والعرض الإجمالي لأحوال الجبال يوم القيامة، المحور الثاني: الأحوال التي ذكرها القرآن الكريم للجبال في يوم القيامة، وبيان معنى هذه الأحوال، ووقتها، وترتيبها، المحور الثالث: الشبهات والتساؤلات والاعتراضات الواردة على الآيات التي تحدثت عن هذه القضية، وتفنيد تلك الشّبه والإجابة عنها بالأدلة والحجج النقلية والعقلية.

وأوصيت ببعض الأمور منها:

توسيع دائرة البحث في هذا الموضوع من الناحية التفسيرية؛ إذ إن للمفسرين في هذا الموضوع نظرات خاصة ونافعة. تناول الآيات التي تتعلق بأحوال الجبال في القرآن الكريم من الناحية اللغوية؛ أي: بيان الإعجاز اللغوي في تلك الآيات. دراسة الدلالات الإيمانية لهذه الآيات، والاستفادة منها دعويا؛ إذ إن من مقاصد هذه الآيات زيادة الإيمان في نفوس المؤمنين.توسيع دائرة البحث عن الجبال لتشمل الحديث عن الجبال بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: بيان، المقال، أحوال، الجبال، القيامة.

An article on the conditions of mountains on the Day of Resurrection

Awad bin Marzouq bin Mu'awwad al-Sanani
Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: Dr.awad999@hotmail.com

ABSTRACT :

The Noble Qur'an discusses mountains, their conditions, and their characteristics in this world and the Hereafter. This research, entitled "Explanation of the Article on the Conditions of Mountains on the Day of Resurrection," will address this topic through the verses of the Holy Qur'an that mention and discuss the conditions of mountains, their forms, shapes, and the stages they go through, by the will and power of God Almighty.

This research will focus on three main areas: First, explaining the linguistic and technical meanings of the terms and expressions that the research revolves around, and a general overview of the conditions of mountains on the Day of Resurrection. Second, the conditions mentioned in the Holy Qur'an for mountains on the Day of Resurrection, explaining the meaning, timing, and order of these conditions. Third, the doubts, questions, and objections raised regarding the verses that address this issue, refuting those doubts and answering them with textual and rational evidence and arguments.

I recommended some things, including: * Expanding the scope of research on this topic from an interpretive perspective, as interpreters have their own unique and beneficial perspectives on this topic. * Addressing the verses related to the conditions of mountains in the Holy Quran from a linguistic perspective, i.e., clarifying the linguistic miracle in those verses. * Studying the faith-related connotations of these verses and benefiting from them for da'wah purposes. * Expanding the scope of research on mountains to include discussing mountains in general.

Keywords: Explanation, Article, Conditions, Mountains

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد ...

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الخالد المعجز الذي لا يمكن أن يتخلله ريب، أو يُنسب إليه شك أو تشكيك، ولا يوجد فيه تكرار، أو تعارض، أو زيادة، أو نقصان، إنما هو كتاب كامل ومعجز، ومحفوظ بفضل الله تعالى إلى يوم الدين.

وقد نطقت نصوص هذا الكتاب العزيز متحدثةً عن الجبال وأحوالها، وصفاتها، في الدنيا والآخرة، ومحل هذا البحث والذي جاء بعنوان: "بيان المقال في أحوال الجبال في يوم القيامة "، والذي سأتناول فيه هذا الموضوع من خلال آيات القرآن الكريم التي ذكرت أحوال الجبال وتحدثت عنها، وعن هيئاتها وصورها ومراحلها التي تمر بها بحول الله تعالى وقدرته.

وهذا البحث مكون من ثلاثة محاور، المحور الأول: وهو بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفردات والألفاظ التي يدور حولها البحث، والعرض الإجمالي لأحوال الجبال يوم القيامة، المحور الثاني: الأحوال التي ذكرها القرآن الكريم للجبال في يوم القيامة، وبيان معنى هذه الأحوال، ووقتها، وترتيبها، المحور الثالث: الشبهات والتساؤلات والاعتراضات الواردة على الآيات التي تحدثت عن هذه القضية، وتفنيد نلك الشّبه والإجابة عنها بالأدلة والحجج النقلية والعقلية، وقد جاءت هذه المحاور الثلاث في تمهيد، وخمسة مباحث.

أهداف البحث:

لا شك في أن أهداف البحث من أهم الجزئيات التي ينبغي أن تكون واضحة في ذهن الكاتب أثناء الكتابة؛ وهذا البحث يهدف إلى جملة من الأهداف، منها ما يلي:

- بيان الإعجاز القرآني الذي واجه المشركين والكافرين الذين أظهروا المعاداة والعناد لكتاب الله تعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وأن وعد الله حق وصدق مهما شكك المشككون.
- إظهار عظمة الشريعة الإسلامية وقدرة نصوصها على الإخبار بالأمور الغيبية بأساليب حكيمة وقوية لا يمكن لأحد أن يقوى على التعدي عليها أو يقوم بالتشكيك في شيء منها.
- إبراز الأحوال التي تمر بها الجبال وتتعرض لها يوم القيامة بقدرة قادر حكيم.
- بيان مدى التناسب والتكامل بين آيات ونصوص القرآن الكريم عند تناول قضاياه المختلفة.

أهمية البحث:

هذا البحث يتعلق بقضية من قضايا القرآن الكريم، ومن خلاله يتبين لنا مدى حرص الشريعة الإسلامية على إقناع المعاندين، وتفهيم السائلين، وتعليم المتعلمين، ودفع شبه المشككين، وهذا أمر ملحٌ في هذا الواقع المعاصر الذي نالت فيه بعضُ الأيدي من الشريعة الإسلامية؛ باتهامها بالجمود تارة، وبالتخلف تارة أخرى، وبإنكار بعض نصوصها تارة ثالثة؛ ولهذا جاء هذا البحث ليبين عظمة الشريعة الإسلامية، ويُبرئ ساحتها من كل طعن يُوجه إليها لا سيما رميها بالجمود.

إضافة إلى ذلك فهذا البحث إنما يتعلق ببيان وحصر أحوال الجبال يوم القيامة، ولا يخفى ما في ذلك من الأهمية بالنسبة لواقع الناس؛ لأن كثيراً من هذه الأمور تورث الناس خشية من الله تعالى ومن أهوال يوم القيامة.

أسباب البحث:

لقد اخترت هذا الموضوع لعدة دوافع ومجموعة من المبررات، منها:

- أنه عمل يتعلق بآيات القرآن الكريم، وبيان الوحدة الموضوعية، والتناسب والتناسق بينها جميعًا؛ وهو مما يعود نفعه عليَّ وعلى غيري من المسلمين بالنفع الكثير.
- أن معرفة أحوال الجبال باعتبارها من أهوال يوم القيامة تُقوي الخشية لله تعالى والخوف منه، والتي لا غنى لطالب مثلي عنها.
- بالإضافة إلى أن هذا المبحث من المباحث التي يُعرف من خلالها أن الله تعالى قادر على كل شيء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- وأيضًا أن يوم القيامة وما يشتمل عليه من أحداث يعدُّ من جملة الأبواب الهامة جدًا، والتي تحتاج إلى عناية شديدة؛ لأن فهمها من أهم العوامل التي تقوي عقيدة المسلم وتعينه على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، في نفس الوقت الذي يُظهر فساد دعاوى المنفلتين أخلاقًا الذي ينهجون نهج التحرر عن قيود وضوابط الشريعة الإسلامية الغراء، وأحكامها المقرونة بالرحمة والليونة والرأفة في جميع الشؤون.

أسأل الله تعالى أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون فيه النفع لي ولجميع المسلمين، والله المستعان وعليه التكلان.

محتويات البحث

هذا البحث يتكون من تمهيد وخمسة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: التعرف على البحث، وأهم مصطلحاته.

المبحث الأول: إزالة الجبال من أماكنها وقلعها، والزلزلة، والرجة.

المبحث الثاني: دك الجبال، وتسويتها بالأرض.

المبحث الثالث: تفتت الجبال، وصيرورتها كالصوف المنفوش.

المبحث الرابع: صيرورة الجبال هباء منبثا، وصيرورتها سرابا.

المبحث الخامس: دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة، بالحجج النقلية، والحجج العقلية.

الخاتمة: وهي عبارة عن نتائج وتوصيات. **فهرس المصادر والمراجع.**

التمهيد: التعرف على البحث، وأهم مصطلحاته

المطلب الأول: في بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية لأهم ألفاظ البحث:

يدور هذا البحث حول جزئية محددة، وهي: أحوال الجبال يوم القيامة، ومعنى ذلك أن هذه الكلمات الثلاث هي مدار البحث؛ ولذلك سنبين معاني هذه الكلمات: الأحوال، والجبال، ويوم القيامة، ونُظهر المراد منها فيما يلي:

– الأحوال: كلمة جمع، ومفردها حال(١)، وقد جاء هذا اللفظ في اللغة العربية للدلالة على التحول، والتحرك؛ يقال: حالَ إلى مكانٍ آخرَ؛ أي: تحوّلَ. وحالَ الشخص؛ أي: تحرَّك، وكذلك كلُّ مُتَحَوِّلٍ عن حاله... والحالَةُ: واحدةُ حالِ الإنسانِ وأَحْوالِهِ"(٢).

أما المعنى الاصطلاحي للأحوال هنا، فالمراد منه: هو الهيئة التي تكون عليها الجبال، والتغييرات التي تُعرض لها، بقدرة الله تعالى وانتقالها من حالة إلى حالة(٣).

وسوف نتعرض لبيان ذلك في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

– الجبال: هذا لفظ جمع، ومفرده: جبل، وهذا اللفظ يراد به بصفة عامة: كلُّ وَتِدٍ للأرضِ، عَظُم وطالَ، فَإِن انْفَرد، فأَكَمَةٌ أَو قُنَّةٌ، كما جاء في كتاب: "تاج العروس"، والذي جاء فيه أيضًا عند الحديث عن الجبال: "ويقال: أَجْبُلٌ كأَفْلُسٍ وجِبالٌ بِالْكَسْرِ وأَجْبالٌ، ولفظ الجبال فِي القُرآن الكريم في كثير من المواضع، كَقَوْلِه تعالى: ﴿أَلَم نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ [سورة: النبأ، آية: ٦، ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ

---

(١) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط. دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤١٤ هـ، ١١/ ١٨٧، ١٨٨.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٤/ ١٦٧٩، ١٦٨٠.

(٣) ينظر: مصير الجبال من منظار قرآني، لعلي سواري، وسيد محمد رضا ابن الرسول، ط. آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الرابعة عشرة، العدد الثاني، ١٤٣٣ هـ، ص ٨٦.

مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ [سورة: الشعراء، آية: ١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [سورة: النازعات، آية: ٣٢]. وشاهِد الْأَخير قولُ الشاعِر:

يَا رُبَّ مــاءٍ لَــك بالأَجْــبــالِ أَجْبَـالِ سَــلْمَى الشُّــمَّخ الطِّوالِ

اعتُبِرَ مَعانِيه فاستُعِير واشتُقَّ مِنْهُ بحَسَبِه، فقِيل: الجَبَلُ: سَيدُ القَومِ وعالِمُهُم عَنالفَراء. والجَبَلانِ لطَيِّئٍ: هما سَلْمَى وأَجَأٌ قَالَ البُرجُ بنُ مُسهِرٍ الطّائيُّ:

فـإنْ نَـرجِـعْ إلَى الجَـبَـلَـيْنِ يَـوْمـاً نُصــالِحْ قَوْمَنـا حتَّى المَمـاتِ" اه.[١].

– يوم القيامة: من المعلوم أنه إذا أطلق هذا اللفظ فإنه يراد به هو ذلكم اليومالمعلوم المشهود الذي يبعث الله تعالى فيه الخلائق جمعاء، وإن لفظ القيامة مصدر قام، ومضارعه يقوم؛ أي: أن الخلق سيقومون فيه بقدرة قادر حكيم؛ ولذلك قال الإمام الأصبهاني: "قيل: هو مَصْدَر قَامَ الخَلقُ مِن قُبورهم قِيامَةً. قال الجَبَّان: وإن لم يُقَل ذلك فهي تَعْرِيب "قِيَمْثَا". بمعناها في السُّرْيَانِيَّةِ"[٢].

فيوم القيامة هو: يوم البعث؛ الذي يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم تعالى[٣].

ونخلص في النهاية إلى أن هذه الكلمات الثلاث يُقصد بها: الحالات التي ستكون الجبال العظيمة الشأن في أنظار الناس عليها وتمر بها في يوم تضطرب فيه جميع الأشياء، وتنقلب فيه كل الموازين، بما فيها كل الجمادات والتي منها: الجبال.

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط. دار الهداية، د. ت، ٢٨/ ١٧٤.

(٢) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط. جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة –، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية –، الطبعة: الأولى، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)، ٢/ ٧٦٦.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥٠٦.

المطلب الثاني: العرض الإجمالي لأحوال الجبال يوم القيامة

من يطالع النصوص القرآنية الكريمة المتعلقة بالجبال وأحوالها يوم القيامة يرى أن لها شأنًا عجيبًا، ويدرك أن هناك صورة عامة يريد البيان القرآني أن يرسمها في أذهان الناس؛ فإن الجبال لن تكون على الحالة التي هي عليه في الدنيا؛ أي: التي نراها الآن من الثبات، والقوة، والاستقرار، والعظمة، وسنعرض في هذا المطلب ما ستصير إليه الجبال يوم القيامة على سبيل الإجمال؛ لتكون الصورة الإجمالية للجبال يوم القيامة مُسْتَجْمَعَةٌ في الذهن، ثم بعد ذلك نذكر هذه الأحوال في مباحث تالية على سبيل التفصيل.

* لقد أخبر الله تعالى أنه يزيل الجبال من أماكنها يوم القيامة، وسيجعلها تسير كالأشياء التي من عادتها السير، وليس الاستقرار؛ فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٧]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة: النبأ، آية ٢٠]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة: النمل، آية: ٨٨].

* وقد أخبر الله تعالى أن الجبال والأرض عامة تحصل لها زلزلة ورجة عظيمة بحيث إن هذه الرجة تُصَيِّرُ الجبال حطاما، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة: الزلزلة، آية: ١]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [سورة: الواقعة، آية: ٤، ٥].

* ثم تأتي مرحلة أخرى بعد هذه المرحلة، وفي هذه المرحلة تصير الجبال فتيتا، وكثبانا من الرمل، وهذه المرحلة تحدث عنها القرآن الكريم، وبينها بالتفصيل في أكثر من موضع، وذلك مثل: قول الله تعالى:﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، وقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٣– ١٥]، وقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [سورة: طه،

آية: ١٠٥، ١٠٦]، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٤].

* ثم أخبر الله تعالى أن الجبال تكون كالعهن المنفوش؛ أي: تكون كالصوف المنفوش في خفته، وفي شكله، وهذا يدل على هشاشتها حينئذٍ، وهذه المرحلة تحدث عنها القرآن الكريم في موضع واحد فقط، وهو قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة: القارعة، آية: ٤، ٥].

* ثم أخبرنا الله تعالى أن هذه الجبال تكون هباء منبثا، كما تكون أيضًا سرابا، وقد تحدث النص القرآني المعجز عن هذه المرحلة أو الحالة في موضعين اثنين، وهما: قول الله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [سورة: الواقعة، آية: ٣– ٥]، وقول الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة: النبأ، آية: ٢٠].

ومن خلال هذه الآيات القرآنية يبين الله تعالى لنا المآل والمصير الذي قدر للجبال في ضمن المجموعة الكونية، وأنها ستمر بمراحل وستتعرض لحالات تتنافى تمامًا مع وضعها الحالي؛ مما يدل على عظمة الله تعالى من جهة، وعلى أن يوم القيامة ستختلف فيه المقاييس والموازين من جهة أخرى، وقد تعرّض للحديث عن هذا الأمر كثير من العلماء، ولا سيما المفسرون، إلا أنّهم لم يتعرضوا لها على سبيل الترتيب؛ ومع ذلك فإنهم قد بينوا المعنى المراد من النص القرآني.

وفي الجملة فإن الجبال شأنها شأن كل شيء في هذا الوجود ستتبدل في يوم القيامة، وستصير على هيئة، وحالٍ غير التي هي عليه في هذه الحياة الدنيا، ولن تكون كالجبال التي يشاهدها بني الإنسان الآن، وسيرى الناس في الجبال وفي غيرها قدرة الله تعالى، وسيشهدون الهيمنة الإلهية على الخليقة كلها في هذا اليوم العظيم.

وإن حديث القرآن الكريم عن هذه الأحوال يعطي للناس لمحة مما سيكون عليه هذا اليوم من أهوال وشدائد لا يعلم مداها ولا خطورتها إلا الله تعالى.

وسوف نتعرض لهذا تفصيلا بأحوالها على سبيل الترتيب إن شاء الله في المباحث الآتية.

المبحث الأول: إزالة الجبال من أماكنها وقلعها، والزلزلة، والرجة

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:

أكد القرآن الكريم أن الجبال ستُزال من أماكنها وسيتم قلعها، وستحصل لها زلزلة شديدة، ورجة عظيمة، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحالة في كثير من المواضع، وبيان ذلك على النحو التالي:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٧]، وفي هذه الآية الكريمة وما بعدها يخبرنا الله تعالى عن حشر جميع الناس يوم القيامة وما يحصل لهم من أَهوال، وما سيكون في هذا اليوم من الأمور العظام، ومن هذه الأهوال: أن من علامات هذا اليوم العظيم: سير الجبال بسرعة شديدة؛ أي: تحركها وزوالها من موضعها التي استقرت فيه، ولا شك في أن من خلقها وجعلها مستقرة هو أيضًا من سيجعلها تتحرك من موضعها.

ومعنى هذه الآية كما قال علماء التفسير: واذكر لهم أيها النبي الكريم أن من أحوال يوم القيامة الذي وعدناهم بالالتقاء والحساب فيه: أننا سننقل الجبال، وسنزيلها من أماكنها، ونسِّيرها على هيئاتها كما نسير السحاب(١).

قال الكلبي في قول الله تعالى: ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: "تُسير الجبال عن وجه الأرض، كما تُسير السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتعود في الأرض"(٢).

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ٥/ ٨٨١.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط. عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ، ١٤/ ٣٧، ٣٨.

ومن جملة من تحدثوا عن هذه الحالة أيضًا القرطبي حيث قال: "قيل: المعنى واذكر يوم نسير الجبال، أي: يوم نزيلها من أماكنها من على وجه الأرض، ونسيرها كما نسير السحاب... ثم تكسر فتعود إلى الأرض"(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [سورة: التكوير، آية: ٣]؛ أي: واذكر لهم أيضًا: إذا سيرت الجبال عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو؛ فإن ذلك بعد النفخة الثانية(٢)، وقيل: قلعت من الأرض، وسيرت في الهواء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٧](٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة: النمل، آية: ٨٨]؛ أي: وأعلمهم بأنه مما سيقع لا محالة: أن الواحد إذا رأى الجبال وقت النفخة الأولى، فإنه سيظنها ثابتة في مكان واحد لا تتحرك؛ لعظم حجمها؛ لأن النظر لا يحيط بها، وهي في الحقيقة تسير سيرًا سريعًا كالسحاب إذا ضربته الريح، وهذا مما ذكره كثير من أهل التفسير(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م, ١٠/ ٤١٦.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ط. دار إحياء التراث العربي– بيروت، د. ط، د. ت، ٩/ ١١٤.

(٣) تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة –، الطبعة: الثانية، سنة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤، ١٩/ ٢٢٨.

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: نور الدين، ط. دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ٥/ ١٦٦.

وقال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿وترى الجبال...﴾ الآية: "قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيرا حثيثا.. وذلك أن الجبال تجمع وتسير، فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير، وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر، لكثرته وبعد ما بين أطرافه، وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير. قال النابغة في وصف جيش:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

ومن جملة من تحدثوا عن هذه الحالة أيضًا الإمام القشيري، وذلك حيث قال:"وهذا يوم القيامة، أي هي لكثرتها كأنها جامدة أي واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير، أي تمر مر السحاب.."[(١)].

ومما يُذكر في هذا الشأن أن زوال الجبال من مكانها علامة كبرى من علامات يوم القيامة؛ لأنها إذا زالت فإن معنى ذلك أنها تسير بحركة غير مُتصورة، وهذا لا شك لا يحصل إلا في يوم القيامة، وهو ما ذكره وهبة الزحيلي بعدما ذكر علامتين من علامات يوم القيامة حيث قال: "وهناك علامة ثالثة: وهي تسيير الجبال وإزالتها من أماكنها، فانظر أيها الرّائي الجبال تظنّها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تزول بسرعة فائقة عن أماكنها، وتسير كما يسير الغمام بتأثير الريح العاصفة، لأن حركتها الرتيبة لا تكاد تبين. إنه صنع الله وفعله بقدرته العظيمة الذي أحكم وأتقن صناعة كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما شاء، إنه سبحانه خبير بما تعملون من أعمال وما تقولون من أقوال، خيرها وشرّها، وسيجازيكم عليها خيرا أو شرّا، وهذه هي علة النفخ في الصور وإيجاد البعث للحساب والجزاء"[(٢)].

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣/ ٢٤٢.

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٢ هـ، ٢/ ١٨٩٧.

وهذه الحالة وإن لم تكن حاصلة في يوم القيامة ذاته إلا أن المسوغ لذكرها باعتبارها حالة من حالات الجبال يوم القيامة هو أن يوم النفخة الأولى، أو العلامة الكبرى لقيام الساعة جزء من هذا اليوم باعتباره مقدمة من مقدماته، ومن المعلوم أن مقدمات الشيء إنما تُلحق به.

بل إن هذه المقدمات من الأهوال التي أخبر بها الغيب؛ لأنها شيء لا يمكن للعقل أن يدركها من ناحية، ولا يمكن لبني الإنسان أن يتعايشوا معها باستقرار أو هدوء من ناحية أخرى.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن هذه الحالة التي تم تفصيل الحديث عنها هي حالة من الحالات التي تمر بها الجبال يوم القيامة.

وما هذا إلا نموذج وأمثلة توضيحية قليلة لكلام بعض العلماء المفسرين الذين تناولوا وبينوا هذا الموضوع، وإلا فللعلماء تفصيل للحديث عن معنى هذه الآيات ليس هذا محل بسط الكلام فيه.

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال:

هذه الحالة من حالات الجبال لم يرد ذكرها كثيرًا في السنة النبوية المطهرة، ولم أقف على شيء من الحديث النبوي الشريف يتحدث عن هذه الحالة إلا حديث واحد فقط، جاء فيه الكلام عن زوال الجبال باعتباره من الأمور المستحيلة، وهذا الحديث هو ما جاء عن سَمُرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَرَوْنَ الْأُمُورَ الْعِظَامَ الَّتِي لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا»(١).

والمعنى أن نهاية الزمان سيشهد علامة ستكون هي المعيار الذي يُعلم من خلاله بقيام الساعة أو عدمه، وهذا المعيار هو زوال الجبال؛ فإن القيامة لن تقوم إلا إذا زالت الجبال من أماكنها؛ أي: إذا تحركت وتم اقتلاعها من مكانها، وتبدل حالها تبدلًا لم يكن معهودا أو مُتصورا من ذي قبل.

والسبب فيما أكده رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من أن القيامة ستقوم إذا زالت الجبال من أماكنها هو أن ذلك في الأصل شيء لا يتصور وقوعه، وهو أقرب إلى المستحيل الذي لا يمكن أن يحدث، كما تحدث عن ذلك القرآن الكريم، كما في قول الله تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة: إبراهيم، آية: ٢٦].

---

(١) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" ورقمه: (٦٨٥٧)، ٧، ٢٠٥، وفي سند هذا الحديث ضعف، كما أخبر بذلك الإمام الحافظ الهيثمي؛ ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط. مكتبة القدسي، القاهرة، سنة: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ٧/ ٣٢٦.

فهنا بين القرآن أن زوال الجبال شيء لا يحصل إلا إذا حصل شيء محال، ولأجل ذلك ذكر المفسرون أن معنى هذه الآية هو: ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكُنا[1].

فبهذا يظهر لنا ما جاء في هذا الحديث الشريف من أنه إذا حصلت المحالات ووقعت الخوارق فإنه بهذا يمكن للساعة أن تقوم، وإذا لم تحصل المحالات ولم تقع الخوارق فإنه لم يَحِن بعد وقت قيام القيامة.

(١) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين، ط. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، سنة: ١٣٢٣ هـ، ٤/ ٢٥٣.

المبحث الثاني: دك الجبال، وتسويتها بالأرض

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن حالة دك الجبال، وتسويتها بالأرض:

هذا المطلب مع كونه كلامًا عن حالة واحدة من أحوال الجبال يوم القيامة وهي حالة: الدك وتسويتها بالأرض، إلا أنه بمقام مطلبين؛ لأن القرآن الكريم وَسَّعَ المجال عند حديثه عن هذه الحالة؛ وذلك لصعوبة تصور هذا الأمر، فجاء التفصيل القرآني ليقرب للعقل البشري كيف أن الله يُسوي الجبال بالأرض ويجعل بعضها يصير كثبانا رمليا، وغير ذلك، وكذلك لأنه قد وقع خلاف بين العلماء في تحديد وقت هذه الدكة، وسنذكر هذا الخلاف، وقد تحدث القرآن العظيم عن هذه الحالة وعن صورها على نحو من التفصيل؛ وبيان هذا على النحو الآتي:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [سورة: الفجر، ٢١]، فقد تعرضت هذه الآية لبيان دك الجبال الذي هو الهدم والتكسير، كما ذكره أهل اللغة، قال ابن منظور "الدك: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دكه يدكه دكا.. وقد تدكدكت الجبال؛ أي صارت دكاوات، وهي رواب من طين، واحدتها دكاء. وقوله تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾؛ قال الفراء: دَكُهَا زلزلتها، ولم يقل فدككن؛ لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال: فدكت دكة لكان صوابا. قال ابن الإعرابي: دك هدم ودك هدم. والدكك: القيران المنهالة. والدكك: الهضاب المفسخة. والدك: شبيه بالتل. والدكاء: الرابية من الطين ليست بالغليظة، والجمع دكاوات"(١)، ومع أن ابن منظور نص على ذلك إلا أنه بالنظر لأصل الكلمة نجد أنها تدل على الاستواء والانبساط، وهو ما ذكره ابن فارس بالتفصيل حيث قال: "(دك) الدال والكاف أصلان: أحدهما يدل على تطامن وانسطاح. من ذلك الدكان، وهو معروف. قال العبدي: كدكان الدرابنة المطين ومنه الأرض الدكاء: وهي الأرض العريضة المستوية. قال الله تعالى: ﴿جعله دكاء﴾ [سورة: الكهف، ٩٨]، ومنه

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ٤٢٤، ٤٢٥.

الناقة الدكاء، وهي التي لا سنام لها.. والأصل الآخر يقرب من باب الإبدال، فكأن الكاف فيه قائمة مقام القاف. يقال دككت الشيء، مثل دققته، وكذلك دككته. ومنه دك الرجل فهو مدكوك، إذا مرض. ويجوز أن يكون هذا من الأول، كأن المرض مده وبسطه; فهو محتمل للأمرين جميعا. والدكداك من الرمل كأنه قد دك دكا، أي دق دقا. قال أهل اللغة: الدكداك من الرمل: ما التبد بالأرض فلم يرتفع.... ومن هذا الباب: دككت التراب على الميت أدكه دكا، إذا هلته عليه. وكذلك الركية تدفنها. وقيل ذلك لأن التراب كالمدقوق. ومما شذ عن هذين الأصلين قولهم، إن كان صحيحا: أمة مدكة: قوية على العمل. ومن الشاذ قولهم: أقمت عنده حولا دكيكا، أي تاما"(١).

وما ذكره أهل اللغة يتفق مع ما ذكره المفسرون للآية الكريمة، فإن الله تعالى يخبر عما يقع يوم القيامة من الأَهوال العظيمة، والشدائد المذهلة فيقول: (كَلاَّ) وهي ردع وزجر لهم عن أَفعالهم القبيحة، وقد يكون معناها "حقًّا" وقوله تعالى: (إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) إلى آخره استئناف جيءَ به بطريق الوعيد تعليلا للردع؛ أَي: إِذا هدم كل ما على الأَرض بالدك والزلزلة مرة بعد أُخرى حتى انكسر وتفتت، وأَصبح كل ما على وجهها من جبال، وقصور وأَبنية وحصون هباءً منثورًا، وتكرير الدك للاستيعاب، بمعنى أَنها دكت دكا متتابعًا، وقال المبرد: الدك: حط المرتفع بالبسط والتسوية، وعليه فالمعنى: إِذا سويت الأَرض تسوية بعد تسوية، ولم يبق على وجهها شيءٌ حتى صارت كالصخرة الملساءِ، وأَيا ما كان فهو عبارة عمَّا عرض لها عند النفخة الثانية(٢).

كما أن هذه الآية الكريمة تفيد أن عملية الدك هذه لن تكون مرة واحدة بل هناك تكرار لها، وهذا الأمر وضحه الزمخشري حيث قال في بيان هذه الآية: "كَلَّا ردع لهم

(١) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٠/ ١٩٠٨، ١٩٠٩.

عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرّطوا فيه حين لا تنفع الحسرة، ويومئذ بدل من إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ وعامل النصب فيهما يتذكر دَكًّا دَكًّا دكا بعد دك. كقوله: حسبته بابا بابا، أى: كرّر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا"(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٣- ١٥]، فهذه صورة أخرى للجبال في هذه الحالة، والمعنى في هذه الصورة هو أن الأرض ستكون هي والجبال في حالة واحدة من الاستواء بسبب هذا الدك؛ وقد تحدث غير واحد من المفسرين عن هذا الأمر، وبينوه، منهم النسفي حيث قال: "﴿وحملت الأرض والجبال﴾ رفعت عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً واحدة﴾ دقتا وكسرتا؛ أي: ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا"(٢)، وكذلك الخطيب الشربيني حيث قال: "﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أي: التي بها ثباتها حملتهما الريح أو الملائكة أو القدرة من أماكنهما ﴿فدكتا﴾ أي: مسحت الجملتان الأرض وأوتادها وبسطت ودق بعضها ببعض ﴿دكة واحدة﴾ أي: فصارتا كثيبا مهيلا بأيسر أمر، فلم يميز شيء منهما عن الآخر بل صارتا في غاية الاستواء، ومنه اندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره، وقال الفراء: لم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والأرض كالجملة الواحدة، ومثله ﴿أن

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط. دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ٤/ ٧٥١.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣/ ٥٣٠.

السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٣٠]، ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [سورة: الزلزلة، آية: ١]"[١].

وقت دك الجبال:

وقع اختلاف بين العلماء في وقت دكة الجبال هذه الدكة العظيمة، وأنها هل تكون عند النفخة الأولى، أو تكون عند النفخة الثانية؟ فقال بعض أهل العلم: هذه الدكة تكون عند النفخة الأولى، وقال بعضهم: إنها تكون عند النفخة الثانية؛ وعليه حمل تفسير قول الله تعالى ﷻ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ فمن يقول: يكون ذلك عند النفخة الأولى حمل النفخ هنا على النفخة الأولى، ومن يقول: يكون عند النفخة الثانية حمل النفخ هنا على النفخة الثانية، واستظهر كونها النفخة الثانية الخطيب الشربيني ، وقد بين الخلاف في هذا الأمر قائلا: "قال البقاعي: وظاهر السياق أنها الثانية التي بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم أنسب لأنه أهيب وكونها الثانية إحدى الروايتين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ا. هـ.

واقتصر البيضاوي على أنها الأولى والجلال المحلي على أنها الثانية وهو الأنسب كما قاله البقاعي. ثم إن الزمخشري سأل سؤالاً على أنها النفخة الأولى بقوله: فإن قلت: أما قال بعد: ﴿يومئذ تعرضون﴾ والعرض إنما هو عند النفخة الثانية، قلت: جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان، والصعقة والنشور والوقوف للحساب، فلذلك قيل: ﴿يومئذ تعرضون﴾ كما تقول: جئتك عام كذا، وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته ا. هـ"[٢].

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ط. مطبعة بولاق الأميرية– القاهرة، سنة: ١٢٨٥ هـ، ٤/ ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٣٧١.

وممن اختار أنها النفخة الثانية أيضا: البيهقي قال: "وقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٣] فَمَعْنَاهُ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ وَاللهُ أَعْلَمُ"(١)، وسوف تأتي تتمة كلام للمراد بهذه النفخة عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الجبال كالعهن المنفوش﴾ [سورة: القارعة، آية: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥– ١٠٧]، أما هذه الآية الكريمة فإنها مستأنفة، وقد جاءت لبيان حال الجبال عند ما تقوم الساعة، وقد جاءت بعد ما سأَل السائلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وإن هؤُلاءِ السائلون كانوا ممن ينكر البعث الذي وعد الله به من قريش، ومعنى هذه الآية: ويسأَلك السائلون يا محمد عن حال الجبال يوم القيامة، هل هي تظل باقية على الحال التي هي عليه كما نراها أمام أعيننا؟ فقل لهم مجيبا على هذا السؤال: الجبال سيجعلها الله كالرمل أَو التراب ثم يرسل عليها الريح فتذْروها وتبعثرها. واعلم أنها لا تستعصى على ملك الملوك الكبير المتعال الذي، يقول للشيءِ كن فيكون، ولا يوجد في القرآن أَمر من الله للرسول مقرون بالفاء، يجيب به السائلين سوى ما هنا، وآية سورة البقرة(٢)، أَما ما عدا ذلك من الآيات فقد جاء الجواب فيها من دون الفاءِ، ومن ذلك مثلًا: قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢١٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢١٩] وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا

(١) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ١/ ٥٥٥.

(٢) هذه الآية هي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٦].

ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[سورة: الأنفال، آية: ١]. الخ ....، والسبب في هذا هو أَن الفاءَ للترتيب والتعقيب، وقد جيءَ بها هنا للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل المشرك وغير المشرك من بقاء الجبال تبعا لظن المشركين أنه لا يوجد حشر، أَو للمسارعة إلى تعليم السائل المؤمن حفظًا لعقيدته مما يقوله المنكرون، ثم أن الله تعالى بعد ما يزيل الجبال ويبعثرها، يترك أُصولها أَرضًا مستوية، كأنها مع غيرها صف واحد على سمت واحد مستو متماثل، بحيث لا ترى في أُصول تلك الجبال المنسوفة انخفاضًا لا نتوءًا بارزا، ولا عوجا، والعِوج بكسر العين يستعمل في غير المستقيم حسيا ومعنويا أما مفتوح العين فقاصر على الحسي غير المستقيم(١)، ويرى القرطبي أن هذا جواب لسؤال مقدر وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأل عنه، قال: "جاء هذا بفاء وكل سؤال في القرآن" قل" بغير فاء إلا هذا(٢)، لأن المعنى إن سألوك عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى الشرط. وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال، وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجواب عقب السؤال، فلذلك كان بغير فاء، وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد، فتفهمه"(٣).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٤]، وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أن الجبال تصير كثبانا رملية ناعمة، وذلك بعدما كانت صخورا صماء شديدة الصلابة، وقد بين هذا المعنى البغوي حيث قال في تفسير هذه الآية: "يوم ترجف الأرض والجبال؛ أي: يوم تتزلزل وتتحرك، وكانت الجبال كثيبا مهيلا، رملا سائلا. قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئا

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٦/ ١٠٦٦، ١٠٦٧.

(٢) هذا الإطلاق غير دقيق؛ لآية البقرة التي ذكرناها قبل قليل.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١/ ٢٤٥.

تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه"[١]، وإنما تصير الجبال إلى هذه الحالة وهي أنها تصير رمالا ناعمة بسبب الحركة الشديدة[٢]، وممن بين هذا المعنى من المفسرين الأمين الهرري حيث قال في تفسير هذه الآية: "﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾ من شدّة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها ﴿كَثِيبًا﴾؛ أي: رملا مجتمعا ﴿مَهِيلًا﴾؛ أي: رخوًا ليّنًا سائلًا. وفي "القاموس": الكثيب: التل من الرمل انتهى، من كثب الشيء إذا جمعه، كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله، ثم صار اسمًا بالغلبة للرمل المجتمع؛ أي: صارت مثل رمل مجتمع هيل هيلًا؛ أي: نثر وأسيل بحيث لو حرك من أسفله انهال من أعلاه وسال، لتفرق أجزائه كالعهن المنفوش، ومثله هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك، فكونه متفرق الأجزاء منثورًا سائلًا لا ينافي كونه رملًا مجتمعًا. ف ﴿مَهِيلًا﴾ اسم مفعول من هال يهيل هيلا كباع يبيع بيعًا ومبيعًا، لا فعيل من مهل يمهل. وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل، لأنّ ذلك خاصة لها، فإن الأرض تكون مقررة في مكانها بعد الرجفة، دل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥-١٠٧]، والحاصل: أنّ الأرض والجبال يدق بعضها ببعض، كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾. فترجع الجبال كثيبًا مهيلًا"[٣].

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحيقي: عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ، ٥/ ١٧٠.

(٢) ينظر: تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب مستو، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨، ٣/ ٥٥٨.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط. دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ٣٠/ ٣٥٦، ٣٥٧.

وقد تحدثت الآيات عن رفع الجبال غير أنها لم تبين لنا كيفية الرفع؛ فيكون من الغيب الذي يجب الإيمان به، وهذا ما بينه الأمين الهرري أيضًا عند كلامه على قول الله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٦]: "ومعنى الآيات: فإذا نفخ إسرافيل النفخة الأولى التي عندها خراب العالم، ورفعت الأرض والجبال مِنْ أماكنها، ولا ندري كيف رفعت؛ لأنّ ذلك من أنباء الغيب، فقد يكون ذلك بريح يبلغ من قوة عصفها أن تحملهما أو أنَّ ملكًا يحملهما أو بقدرة الله تعالى من غير سبب ظاهر، أو بمصادمة بعض الأجرام كذوات الأذناب، فتنفصل الجبال؛ وترتفع من شدّة المصادمة، وترتفع الأرض من حيّزها، فضرب بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تقطعت أوصالها وصارتا كثيبًا مهيلًا وهباء منبثًّا، لا يتميز شيء من أجزائهما عن الآخر، فحينئذٍ تقوم القيامة وتتصدع السماء؛ لأنها يومئذٍ ضعيفة المنة كالعهن المنفوش بعد أن كانت شديدة الأسر عظيمة القوة"(١).

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري، ٣٠/ ١٥٥.

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال:

في هذه الحالة وجدنا أن القرآن الكريم قد فصل الكلام فيها، وتحدث عنها في صور ومراحل متعددة، والأمر بالنسبة للسنة النبوية فيما يخص هذه الحالة ليس كذلك، فلم يرد في السنة المطهرة نصوص كثيرة في هذا الشأن، فقد ورد حديثان:

الحديث الأول: هو ما أخرجه الإمام ابْن الْمُنْذر عَن ابْن جريج قَالَ: قَالَت قُرَيْش: يَا مُحَمَّد كَيفَ يفعل رَبك بِهَذِهِ الْجبَال يَوْم الْقِيَامَة فَنزلت: ﴿ويسألونك عَن الْجبَال﴾ الْآيَة[1]، وهذه الرواية يظهر منها أن هذا سبب نزول الآية الكريمة، فهي بهذا خطاب لمن يستبعد على الله تعالى أن يفعل هذا بهذه الجبال التي يرونها أضخم من أن يُفعل بها هذا، وذلك لأنهم في الأصل ينكرون البعث، وكل الأمور الغيبية التي تخص يوم القيامة.

وقد ذكر هذه الرواية السيوطي على أنها سبب أو مناسبة نزول هذه الآية[2]؛ والسبب واضح، وهو أن سؤالهم هذا سؤال قد جاء على سبيل التهكم والاستهزاء والطعن في قضية الحشر والنشر، لا سؤال معرفة للحق وتثبيت له.

الحديث الثاني: هو ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ «هل تدرون ما تفسير هذه الآية: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [سورة: الفجر، آية: ٢١- ٢٣]؟

---

(١) الدر المنثور، للسيوطي، ٥/ ٥٩٨، وقد بحثت عنه في كتب السنة فلم أجده، وقد تناقله كثير من المفسرين، ومنهم الإمام الألوسي؛ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ، ٨/ ٥٧١.

(٢) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د. ط، د. ت، ص ١٣٢.

قال إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا أن الله تعالى حبسها لأحرقت السموات والأرض»[١].

فالحديث الأول يبين مناسبة نزول الآية، وقد يُفهم منه أن هذا سيحصل لأجل إثبات الحق الذي ينكره المشركون، والحديث الثاني يبين أن نار جهنم هي التي تسوي الأرض وتدكّها بجبالها وسهولها، وهناك رواية أخرى وردت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تجمع لنا بين الحديثين، وتبين النار تفعل ذلك بأمر الله تعالى، ولأجل أن يتعظ الكفار.

وقد أرود هذه الرواية البغوي حيث قال: قال عبد الله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك يقودونها، لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش. يومئذ يعني يوم يجاء بجهنم، يتذكر الإنسان، يتعظ ويتوب الكافر، وأنى له الذكرى، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة[٢].

(١) أورده الإمام جلال الدين السيوطي، في «الجامع الكبير»، حديث رقم: (١٤٢٢)، ١٨/ ٤٣، والإمام علاء الدين المتقي الهندي، في "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، فصل التفسير، تفسير سورة: الفجر، ورقمه: (٤٧٠٤)، ٢/ ٥٥١، وعزاه غير واحد من الأئمة إلى الإمام ابن مردويه، وبحثت عنه ولم أجده .

(٢) ينظر: تفسير البغوي، ٥/ ٢٥٢.

المطلب الثالث: صور حال دك الجبال يوم القيامة:

هذه الحالة التي نتكلم عنها من أحوال الجبال يوم القيامة لها في القرآن الكريم صور متعددة كما أشرنا، ونأخذ –هنا– لكل صورة قولًا من أقوال العلماء الذين بينوا كيف تكون حالة الجبال هذه يوم القيامة.

– في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [سورة: الفجر، آية: ٢١]. قال السيوطي في الدر المنثور: "أخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿إِذا دكت الأَرْض دكاً دكاً﴾ قَالَ: تحريكها، وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن الرّبيع بن أنس رضي الله عنه قَالَ: تحمل الأَرْض وَالْجِبَال فيدك بَعْضهَا على بعض"(١).

– في قول الله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: فُتَّتَا فَتة واحدة(٢)، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٤] قال: " يصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين، وذلك قوله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾(٣).

---

(١) الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر– بيروت. د. ت، ٨/ ٥١١.

(٢) التفسير البسيط، للواحدي، ٢٢/ ١٥٤، وهذا لا يعني أنها ستسوى بالأرض، بل ستسوى بالأرض ولكن بسهولة وسرعة.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب: التفسير «بسم الله الرحمن الرحيم قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، في ما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير. السور» تفسير سورة الحاقة بسم الله الرحمن الرحيم قال قتادة: ﴿الحاقة﴾ [الحاقة: ١] «حقت لكل عامل عمله» ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٣] قال: «تعظيما ليوم القيامة»، ٢/ ٥٤٣، حديث رقم (٣٨٤٧).

– في قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥– ١٠٧] جاء عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: كانت أم الدرداء تأتينا من دمشق إلى بيت المقدس على بغلة لها، ولها قائد يقود بغلتها، فكانت إذا مرت بالجبال قالت لقائدها: سمع الجبال ما وعدها، يعني: ربها، ويرفع صوته بهذه الآية: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا﴾(١).

وَأخرج ابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله تعالى: ﴿فيذرها قاعاً﴾ قَالَ: مستوياً ﴿صفصفاً﴾ قَالَ: لَا نَبَات فِيهِ ﴿لَا ترى فِيهَا عوجا﴾ قَالَ: وَاديا ﴿وَلَا أمتاً﴾ قَالَ: رابية.

وَأخرج الطستي عَن ابْن عَبَّاس أَن نَافِع بن الْأَزْرَق قَالَ لَهُ: أَخْبرنِي عَن قَوْله تعالى: ﴿فيذرها قاعاً صفصفاً﴾ قَالَ: القاع الأملس، والصفصف المستوي، قَالَ: وَهل تعرف الْعَرَب ذَلِك قَالَ: نعم أما سَمِعت الشَّاعِر وَهُوَ يَقُول:

ملمومة شهباء لَو قذفوا بهَا شما ريخ من رضوى إِذا عَاد صفصفا(٢).

وَأخرج كذلك عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن عِكْرِمَة أَنه سُئِلَ عَن قَوْله تعالى: ﴿قاعاً صفصفاً لَا ترى فِيهَا عوجا وَلَا أمتاً﴾ وهذه الآية ورد في بيانها عموما أقاويل للعلماء كثيرة جدًا، وكلها متغايرة، ومختلفة، وقد أوردها جميعاً الحافظ السيوطي؛ فقال: :قَالَ: كَانَ ابْن عَبَّاس يَقُول: هِيَ الأَرْض الملساء الَّتِي لَيْسَ فِيهَا رابية مُرْتَفعَة وَلَا انخفاض، وَأخرج عبد بن حميد عَن مُجَاهِد فِي قَوْله تعالى: ﴿قاعاً صفصفاً﴾ قَالَ: مستوياً ﴿لَا ترى فِيهَا عوجا﴾ قَالَ: خفضا ﴿وَلَا أمتاً﴾ قَالَ: إرتفاعاً، وَأخرج عبد الرَّزَّاق وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿صفصفاً﴾ قَالَ: القاع: الأَرْض والصفصف: المستوية ﴿لَا ترى فِيهَا عوجا﴾ قَالَ: صدعاً، ﴿وَلَا أمتاً﴾ قَالَ: أكمة، وَأخرج ابْن أبي

(١) فضائل بيت المقدس، لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي، تحقيق: أيمن نصر الدين الأزهري، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، ص ٢٣٣.
(٢) الدر المنثور، للسيوطي، ٥/ ٥٩٨، ٥٩٩.

حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تعالى: ﴿لَا ترى فِيهَا عوجا﴾ قَالَ: ميلًا ﴿وَلَا أمتاً﴾ قَالَ: الأمت الْأَثر مثل الشرَاك، وَأخرج عبد بن حميد وَابْن أبي حَاتِم عَن الضَّحَّاك فِي الْآيَة قَالَ: العوج الإرتفاع والأمت الْمَبْسُوط، وَأخرج عبد بن حميد عَن عِكْرِمَة فِي الْآيَة قَالَ: يَعْنِي بالأمت حفراً، وَأخرج ابْن الْأَنْبَارِي فِي الْوَقْف عَن ابْن عَبَّاس إِن نَافِع بن الْأَزْرَق قَالَ لَهُ: أَخْبرنِي عَن قَوْله تعالى: ﴿لَا ترى فِيهَا عوجا وَلَا أمتاً﴾ مَا الأمت قَالَ: الشي الشاخص من الأَرْض قَالَ فِيهِ كَعْب بن زُهَيْر: فَأَبْصَرت لمحة من رَأس عكرشة فِي كَافِر مَا بِهِ أمت وَلَا شرف[1].

– في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]. قال ابن عباس: ﴿كثيبا مهيلا﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٤]: «الرمل السائل»[2]، وأخرج المستدرك عنه أيضا، قال: أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، عن شبيب بن شيبة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿طعاما ذا غصة﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٣] قال: «شوكا يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج» ، وفي قوله تعالى: ﴿كثيبا مهيلا﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٤] قال: «المهيل الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك آخره، والكثيب من الرمل»[3].

---

(١) المرجع السابق، ٥/ ٥٩٩، وقد كثرت هذه الروايات؛ لأن الاختلاف وقع في بيان لفظ الأمت، والسبب في ذكرنا لهذه الروايات كلها؛ هو أن تكتمل صورة هذه الحالة، والتي تنقل شدة الموقف، وأنه سيكون في غاية الهول، وأن الحال سيكون على خلاف ما يتصوره المشككون والمنكرون لهذا اليوم العظيم.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ: تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿وَدًّا وَلاَ سُواعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣]، ٦/ ١٦١.

(٣) المستدرك، للحاكم، كتاب: التفسير «بسم الله الرحمن الرحيم قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، فيما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير السور، تفسير سورة المزمل بسم الله الرحمن الرحيم، ٢/ ٥٤٩، الحديث رقم (٣٨٦٧).

المبحث الثالث تفتت الجبال، وصيرورتها كالصوف المنفوش

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:

في هذه المرحلة تكون الجبال كالصوف المنفوش، ومعلوم أن أخف حال يكون عليه الصوف هو ما إذا كان منفوشا، ففي يوم القيامة سيكون حال الجبال كحال الصوف المنفوش؛ أي: من خفتها وهشاشتها ستطير في الهواء، ولا تطير الجبال إلا بعدما تكون رمالا ناعمة كما مر في المرحلة السابقة، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المرحلة في موضعين:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [سورة: المعارج، آية: ٨، ٩]، وهنا يتحدث القرآن الكريم عن حال الجبال وتطايرها، بل وعن لونها حال تطايرها فيصفها بأنها كالصوف المنفوش؛ لأن الصوف لا يقال له عهن إلا إذا كان مصبوغا، وهذا لا غرابة فيه؛ لأن الجبال منها ما هو أحمر، ومنها ما لونها غير ذلك، وفي ذلك يقول البغوي: "كالصوف المصبوغ. ولا يقال: عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش"(١)، معنى العهن في اللغة: الصوف المصبوغ، والقطعة: عهنة، والجميع: العُهُون، وقال الليث: يقال لكل صوف عِهن. والمفسرون يقولون: كالصوف المنفوش. وبعضهم يقول: كالصوف الأحمر؛ وذلك أن الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم تصير كالعهن المنفوش في خفتها وسيرها، ثم تصير هباءً منثوراً"(٢).

فالتشبيه بالصوف هنا من حيث الخفة والتطاير(٣)، وفي اللون؛ لأنها ألوان كما مر؛ فالجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو

(١) تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ، ٥/ ١٥٢.

(٢) التفسير البسيط، للواحدي، ٢٢/ ٣١٢.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط. دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، د. ت، ص ٨١٩.

أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح[١]، ووجه الشبه هو أن السماء في هذا اليوم تكون في انحلال أجزائها، كالشيء الباقي في قعر الإناء من الزيت، وتكون الجبال في تفرق أجزائها كالصوف المصبوغ الذي تطاير في الجو[٢]، وقد قال الأمين الهرري في هذا كلاما شافيا كافيا وافيا: "قوله تعالى:﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾: في محل الخفض معطوف على جملة ﴿يَكُونُ النَّاسُ﴾، و ﴿العهن﴾: الصوف المصبوغ بألوان مختلفة، والنفش: نشر الشعر والصوف والقطن، بالأصبع، وخلخلة الأجزاء وتفريقها عن تراصها، قال السجاوندي: شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف، وتلونها بالمصبوغ، ومرها بالمندوف، واختصاص العهن لألوان الجبال، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ والمعنى: ويوم تكون الجبال كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الحق، وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق، يبدل الله الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها، ويسيّر الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة، يشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكت عند النفخة الأولى ولكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية. والمعنى: إن الناس من هول ذلك اليوم يكونون منتشرين حيارى هائمين على وجوههم، لا يدرون ماذا يفعلون، ولا ماذا يراد بهم، كالفراش الذي يتجه إلى غير جهة واحدة، بل تذهب كل فراشة إلى جهة غير ما تذهب إليها الأخرى. وإن الجبال لتفتتها وتفرق أجزائها لم يبق لها إلا صورة الصوف المنفوش الذي نفش ففرقت شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ريح، فلا تلبث الجبال أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوث القارعة، وهو ذلك الجسم الضعيف السريع الانحلال؟"[٣].

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، ٢/ ٥٦٢، ٥٦٣.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨ م، ١٥/ ٩٥.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري، ٣٢/ ٢٧٠.

الموضع الثاني: قال الله تعالى:﴿وَتَكُونُ الجبال كالعهن المنفوش﴾ [سورة: القارعة، آية: ٥]، وإن هذه الآية الكريمة تشبه أيضا الجبال بالصوف المصبوغ كالآية السابقة، لكن هذه الآية زادت وصف أنه منفوش، وإنما يحصل تطاير الجبال على هذه الهيئة لعظم الدك الذي حصل لها؛ فصيرها ترابا ورمالا ناعمة جدا؛ إذ لا تحمل الريح إلا الناعم جدا، قال ابن عجيبة: "﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنفوشِ﴾ كالصوف الملون بالألوان المختلفة في تفرُّق أجزائها وتطايرها في الجو، حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً...﴾ [سورة: النمل، آية: ٨٨] الآية، وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق، يُبدِّل الله الأرضَ غير الأرض، بتغيير هيئاتها وتسير الجبال سيراً عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكت وتصدّعت عند النفخة الأولى، لكن تسيير وتسويتها يكونان بعد النفخة الثانية، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥] الآية، ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٨] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ [سورة: إبراهيم، آية: ٤٨]، الآية، فإنَّ اتباع الداعي، وهو إسرافيل، وبروز الخلق لله ﷻ لا يكون إلاَّ بعد النفخة الثانية. قاله أبو السعود(١). فدكّ الأرض كلها مع بقاء جبالها غريبَ مع أنَّ قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ...﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٤] ... إلخ ، صريح في دك الجبال وتسويتها مع دك الأرض قبل البعث، ويمكن الجمع بأن بعضها تدك مع دك الأرض، وهو ما كان في طريق ممر الناس للمحشر، وبعضها تبقى ليشاهدها أهلُ المحشر، وهو ما كان جانباً، والله تعالى أعلم بما سيفعل، وسَتَرِد وترى"(٢).

---

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت –، د. ت، د. ط، ٦/ ٣٠٤.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، سنة: ١٤١٩ هـ، ٧/ ٣٤٥.

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال:

لم أقف في هذه المرحلة من أحوال الجبال يوم القيامة، وهي كونها كالعهن أو الصوف المنفوش على شيء من السنة النبوية المطهرة صراحةً، لكن قد يؤخذ من كلام الحسن البصري وقتادة الآتي ذكرهما أن هذا مما لا يقال بالرأي؛ فيكون داخلا في السنة أيضا؛ أي: من جهة أن ما قاله العلماء في هذا الباب إنما فهموه من شيء ورد في السنة، أو تعلموه ممن نقل السنة ولم ينصوا على كونه حديثًا فقد تكلم العلماء على هذه الحالة من خلال الصورتين اللتين وردتا في القرآن الكريم.

الصورة الأولى: قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [سورة: المعارج، آية: ٨، ٩]، وقد قال عنها الحسن البصري: "كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا"(١).

الصورة الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الجبال كالعهن المنفوش﴾ [سورة: القارعة، آية: ٥] وقد قال عن هذه الصورة جلال الدين السيوطي: "أخرج عبد بن حميد وَابْن جرير عَن قَتَادَة رحمه الله فِي قَوْله تعالى: ﴿يَوْم يكون النَّاس كالفراش المبثوث﴾ قَالَ: هَذَا هُوَ الْفراش الَّذِي رَأَيْتُمْ يتهافت فِي النَّار وَفِي قَوْله تعالى: ﴿وَتَكون الْجبَال كالعهن المنفوش﴾ قَالَ: كالصوف وَفِي قَوْله تعالى: ﴿فَأَما من ثقلت مَوَازِينه فَهُوَ فِي عيشة راضية﴾ قَالَ: هِيَ الْجنَّة ﴿وَأما من خفت مَوَازِينه فأمه هاوية﴾ قَالَ: هِيَ النَّار مأواهم وأمهم ومصيرهم ومولاهم"(٢)، ونقله عنه الطبري أيضا في تفسيره فقال: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ قال: الصوف المنفوش"(٣).

---

(١) تفسير البغوي، ٥/ ١٥٢.

(٢) الدر المنثور، للسيوطي، ٨/ ٦٠٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٤/ ٥٧٤.

المبحث الرابع: صيرورة الجبال هباء منبثا، وصيرورتها سرابا

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:

هذه المرحلة تلي المرحلة التي مرّ ذكرها، وقد نص على هذا بعض أئمة المفسرين(١)، وفيها تكون هذه الجبال سرابا، وقد تعرض القرآن الكريم لهذه المرحلة من خلال موضعين، وهما على النحو الآتي:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٣- ٥]، وهنا يبين الله تعالى أن الجبال تكون غبارا بعدما كانت صخورا عظيمة، قال البغوي: "غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء"(٢)، وهذا تشبيه للجبال بالهباء؛ أي: وتكون الجبال كالهباء، قال السمين الحلبي: "وقوله تعالى: ﴿فكانت هباء منبثًا﴾ [سورة: الواقعة، آية: ٦] شبه الجبال حال دكها بالهباء المنبث، وهو المتفرق. فوصفه بالموضعين بوصفين مختلفين لفظًا متحدين معنى. قال الراغب: الهباء: دقاق التراب، فلا يبدو إلا في أثناء الشمس في الكوة. ويقال: هبا الغبار يهبو، أي ثار وسطع. وأهببته أهبه هبًا: أثرته. والهبوة كالغبرة. وفلانًا جاء يتهبى، قال الأصمعي: أي: ينفض يديه؛ أي: فار اليدين، كقولهم: جاء فلان يرب أصدريه، أي جاء فارغ اليدين"(٣).

---

(١) التفسير البسيط، للواحدي، ٢٢/ ٣١٢، أي: أنهم قد نصوا على أن هذه المرحلة تأتي بعد المرحلة السابقة في الزمان.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، ٥/٥.

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٤/ ٢٣٩.

الموضع الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ [سورة: النبأ، آية: ١٨- ٢٠]، وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن أمر هذه الجبال في هذه المرحلة، وأنها تتلاشى، وتسير، وتكون سرابا كأنها لم تكن من قبل؛ فيقول الله تعالى:﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ فهذا تشبيه لها بالسراب، وقد حذفت أداة التشبيه على سبيل التشبيه البليغ، والجامع أن كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شيء، وهو ليس بذاك الشيء، فمن يرى السراب يظن انه ماء، وهو في الحقيقة هباء(١).

ويمكن القول: إن قوله تعالى:﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ تمثيل لِمَوْرِ الأَرض في ذلك اليوم حيث تفتتت الجبال بعد اقتلاعها من مقارها، وسيرت في الجو على هيئاتها، كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾؛ أَي: أَنك تراها رأْي العين فتحسبها ساكنة في أَماكنها مع أَنها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرًا حثيثًا، وذلك أَن الأَجرام العظيمة إِذا تحركت نحوًا من الأَنحاء لا تكاد تظهر حركتها وإِن كانت في غاية السرعة، ولا سيما من بعيد، ويشير تشبيه سرعة الجبال في سيرها بسرعة الحساب إِلى تشبيه آخر، وهو تشبيه حالها بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق بذلك قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، وهذا الصنيع العظيم عند حشر الخلائق ليشاهدوها ثم يفرقها سبحانه في الهواء، وذلك قوله تعالى:﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أَي: فصارت بعد تَسييرها مثل سراب، فترى كأَنها جبال، وليست بجبال،

(١) ينظر: مصير الجبال من منظار قرآني، لعلي سواري، وسيد محمد رضا ابن الرسول، ص ١٠٢.

وإنما هي غبار عظيم متراكم يحسبه الناظر إليه من بعيد جبلا، ولكنه ليس بشيءٍ كالسراب يحسبه الرائي وقت الظهيرة ماءً، حتى إذا جاءَه لم يجده شيئًا(١).

قال القاسمي: "وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً أي رفعت من أماكنها في الهواء، وذلك إنما يكون بعد تفتيتها وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء. وفي الآية تشبيه بليغ. والجامع أن كلّا منهما يرى على شكل شيء، وليس به. فالسراب يرى كأنه بحر وليس كذلك، والجبال إذا فتتت وارتفعت في الهواء، ترى كأنها جبال وليست بجبال. بل غبار غليظ متراكم، يرى من بعيد كأنه جبل"(٢).

وقال البيضاوي: "وسيرت الجبال أي في الهواء كالهباء. فكانت سرابا مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها"(٣).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٠/ ١٧٥١.

(٢) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، ٩/ ٣٩١.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، ٥/ ٢٧٩.

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال:

بعد البحث في كتب السنة لم أقف في هذه المرحلة من أحوال الجبال يوم القيامة، وهي كونها صيرورة الجبال هباء منبثا، وصيرورتها سرابا على نص من السنة النبوية، أو مناسبة تناولت تلك الحالة، لكن كما قلنا في المطلب الثاني من المبحث السابق: قد يؤخذ من جهة أن ما قاله العلماء في هذا الباب إنما فهموه من شيء ورد في السنة، أو تعلموه ممن نقل السنة ولم ينصوا على كونه حديثًا، وقد كثرت النقولات عن أئمة السلف فيما يتعلق بقول الله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾، فقد نقل السيوطي جملة هذه المقولات كلها، ونسبها إلى قائليها، قال: "أخرج ابْن جرير وَابْن الْمُنْذر عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تعالى: ﴿إِذا رجت الأَرْض رجّاً﴾ قَالَ: زلزلت ﴿وبست الْجبَال بسّاً﴾ قَالَ: فتت ﴿فَكَانَت هباء منبثاً﴾ قَالَ: كشعاع الشَّمْس وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تعالى: ﴿إِذا رجت الأَرْض رجّاً﴾ يَقُول: ترجف الأَرْض تزلزل ﴿وبست الْجبَال بسّاً﴾ يَقُول: فتت فتا[1].

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير عَن مُجَاهِد فِي قَوْله تعالى: ﴿إِذا رجت الأَرْض رجّاً﴾ قَالَ: زلزلت ﴿وبست الْجبَال بسّاً﴾ قَالَ: فتت[2].

وَأخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تعالى: ﴿فَكَانَت هباء منبثاً﴾ قَالَ: الهباء الَّذِي يطير من النَّار إِذا اضطرمت يطير مِنْهَا الشرر فَإِذا وَقع لم يكن شَيْئا.

وَأخرج ابْن الْمُنْذر عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تعالى: ﴿فَكَانَت هباء منبثاً﴾ قَالَ: الهباء يثور مَعَ شُعَاع الشَّمْس وانبثاثه تفرقه.

---

(١) الدر المنثور، ٨/ ٥.

(٢) المصدر السابق، ٨/ ٥.

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر عَن عَليّ بن أبي طَالب قَالَ: الهباء المنبث رهج الذوات والهباء المنثور غُبَار الشَّمْس الَّذِي ترَاهُ فِي شُعَاع الكوّة.

وَأخرج عبد بن حميد عَن أبي مَالك فِي قَوْله: ﴿هباء منبثا﴾ قَالَ: الغبار الذي يخرج من الكوة مَعَ شُعَاع الشَّمْس، وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿هباء منبثاً﴾ قَالَ: الشعاع الَّذِي يكون فِي الكوّة.

وَأخرج عبد بن حميد عَن الْحسن فِي قَوْله: ﴿هباء منبثاً﴾ قَالَ: هُوَ الَّذِي ترَاهُ فِي الشَّمْس إِذا دخلت من الكوة إِلَى الْبَيْت"[1]؛ فقد نقل عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، ومجاهد، وأبي مالك رضي الله عنه.

(١) الدر المنثور، ٨/ ٥.

المبحث الخامس: دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة، بالحجج النقلية، والحجج العقلية

المطلب الأول: الحجج النقلية في دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة:

لم يخل زمان من الأزمنة، ولا مكان من الأمكنة إلا وقد وجد فيه من يحقد على الشريعة الإسلامية بصفة عامة، وعلى كتاب الله تعالى بصفة خاصة، ومثل هذا الذي يحقد على الإسلام يعمل دائما على أن يستخرج من نصوص هذا الدين الحنيف ما يوهم التعارض تارة، ويبعث على التشكك تارة أخرى، ومن هنا فقد وقعت بعض الشبهات فيما يتعلق بأحوال الجبال شأنها شأن قضايا القرآن الكريم الأخرى.

وقد وُجد من هذه الشبهات ما هو عام، ومنها ما هو خاص؛ أي: منها ما يتعلق بحالة واحدة من أحوال الجبال يوم القيامة، ومنها ما يتعلق بأحوال متغايرة، وهنا ستكون الأجوبة نقلية(١).

ومن المعلوم أن الاعتراضات، أو الأسئلة، أو الشبه بالنسبة لنا كمسلمين أمر معتاد، وقد اعتدنا أيضًا أن نفند هذه الاعتراضات، ونجيب من خلال ديننا الحنيف عن كل التساؤلات؛ لأن قرآننا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الاعتراض: اعْتُرِضَ على قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [سورة: النحل، آية: ١٥]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [سورة: الحجر، آية: ١٩]، وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [سورة: المرسلات، آية: ٢٧] فإن ظاهر

(١) معنى الأدلة أو الأجوبة النقلية: أي: الأدلة التي تكون من خلال النصوص الشرعية، سواء كانت من نصوص الكتاب، أو من نصوص السنة النبوية المطهرة..

الآية الأولى أن الجبال متحركة، وظاهر الآيات الثلاثة التي بعدها أن الجبال ثابتة لا تتحرك، وهذا ظاهره التناقض؛ إذ يصير المعنى: الجبال ثابتة، الجبال ليست ثابتة.

الجواب: ذكر محمد الأمين الشنقيطي الجواب على هذا التعارض، أو ما يوهم ظاهره وجود تعارض فيما يتعلق بتحركها وثباتها في نفس الوقت، وذلك حيث قال: "ووجه الجمع ظاهر وهو أن قوله: «أرساها» ونحوه، يعني في الدنيا، وقوله. وهي تمر مر السحاب يعني في الآخرة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة: النمل، آية: ٨٧] ثم عطف على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ الآية. ومما يدل على ذلك النصوص القرآنية على أن سير الجبال في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة: النبأ، آية: ٢٠]"(١).

الاعتراض: وهذا اعترض على تبدل الجبال وتغيرها من حال إلى حال، وحاصل هذا الاعتراض: أن هناك تناقضا حاصلا بين آيات القرآن الكريم في وصفه لحال الجبال في يوم القيامة؛ إذ إنك تراه تارة يذكر أن الجبال تضطرب وتتزلزل حتى تصير كثبانا من الرمال كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥، ١٠٦]، وكذلك أيضًا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [سورة: المزمل، آية: ١٤]، وتارة أخرى تجده يخبر أنها تكون كالعهن المنفوش، قال تعالى:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة: القارعة، آية: ٤، ٥]، وتارة ثالثة تجده يخبر أنها تكون هباء منبثا، وكذلك تكون سرابا، قال تعالى:﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٧٦.

الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [سورة: الواقعة، آية: ٣- ٥]، وتارة رابعة تجده يخبر أنها تسير كالسحاب، قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة: النبأ، آية: ٢٠].

الجواب: ما مر في ثنايا هذا البحث من أن كل آية من هذه الآيات تتحدث عن حالة مختلفة؛ فهي تنتقل من حالة إلى أخرى على سبيل التدرج، وكل مرحلة مترتبة على التي قبلها(١)، وقد بين المفسرون هذا الأمر أتم بيان، ومن هؤلاء الذين تعرضوا لبيان هذا الأمر:

١ –الخطيب الشربيني حيث قال: "قال الرازي: إنّ الله تعالى ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بأن نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى:﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٤]، والحالة الثانية: أن تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى:﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة: القارعة، آية: ٥]، والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ [سورة: الواقعة، آية: ٥، ٦]، الحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدّمة قارة في مواضعها فترسل عليها الرياح فتنسفها عن وجه الأرض، فتطيرها في الهواء وهو قوله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [سورة: طه، آية: ١٠٥]، الحالة الخامسة: أن تصير سراباً؛ أي: لا شيء كما يرى السراب من بعد"(٢)، وقال المراغي بعدما تكلم على قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فكانَتْ سَراباً﴾: "والخلاصة– أنه ﷻ ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة. فذكر أول أحوالها وهو الاندكاك بقوله: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» ثم ذكر أنها تصير كالعهن المنفوش كما قال: «وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ». ثم ذكر أنها تصير هباء

(١) ينظر: البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن، لمحمد أبي النور الحديدي، ط. مطبعة الأمانة، سنة: ١٤٠٢ هـ، ١٩٨١ م، ص ٤٠- ٤٢.

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، ٤/ ٤٧١.

كما قال: «وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا. فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا» ثم ذكر أنها تنسف وتحملها الرياح كما جاء في قوله تعالى:﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾، ثم ذكر أنها تصير سرابا؛ أي: لا شيء كما في هذه الآية"(١).

٢ –نظام الدين النيسابوري والذي قال: "أما الجبال فإنه تعالى ذكر حالها بعبارات مختلفة، ويمكن الجمع بينها بأن تدرك أوّلا: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾ [سورة: الحاقة، آية: ١٤]، ثم تصير كالعهن، ثم تصير كالهباء: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا ۝ فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا﴾ وهي في كل هذه الأحوال باقية في مواضعها ثم تنسف بإرسال الرياح عليها ﴿وَإِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ﴾ [سورة: المرسلات، آية: ١٠] ثم تطير هاهنا أحوال إذا برزت من تحتها ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٧]، والثاني للجبال فتطيره في الهواء كالهباء فمن نظر إليها حسبها لتكاثفها أجساما جامدة، وهي بالحقيقة مارة بتحريك الهواء كما قال تعالى:﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ [سورة: النمل، آية ٨٨]، والثالث لها باعتبار أماكنها الأصلية فمن نظر إلى المواضع من بعيد ظن أن الجبال هناك حتى إذا دنا منها لم يجد فيها شيئا ﴿كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ [سورة: النور، آية ٣٩]، وقد أشار إلى هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾"(٢).

٣ – والألوسي حيث قال: "قيل أول أحوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى:﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾، وحالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش، وحالتها الثالثة أن تصير كالهباء؛ وذلك بأن تنقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن

---

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، ٣٠/ ١٢.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ، ٦/ ٤٣١، ٤٣٢.

كما قال ﴿فكانت هباء منبثا﴾، وحالتها الرابعة أن تنسف وتقلع من أصولها لأنها مع الأحوال المتقدمة غارة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها، وهو المراد من قوله تعالى:﴿فقل ينسفها ربى نسفا﴾، وحالتها الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى:﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب﴾؛ أي: تراها في رأى العين ساكنة في أماكنها، والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا؛ وذلك أن الاجرام إذا تحركت نحوا من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة، لا سيما من بعيد والحالة السادسة أن تصير سرابا"(١).

٤ – ومن العلماء المعاصرين وهبة الزحيلي –رحمه الله– والذي قال عند قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٤٧]: "الآيات تبين بداية القيامة ونهاية الحساب، فتبدأ في بيان تغيير معالم الدنيا من تسيير الجبال، أي إزالتها من أماكنها على وجه الأرض، وتسييرها كما يسيّر السحاب، كما جاء في آية أخرى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ ثم تكسر فتعود إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا ۝ فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا﴾ وتصبح الأرض بارزة ظاهرة، ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان لاجتثاث ثمارها، وقلع جبالها، وهدم بنيانها"(٢).

(١) روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء، ط. دار الفكر– بيروت، ١٠/ ٣٠١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٨ هـ، ١٥/ ٢٦٨.

المطلب الثاني: الحجج العقلية في دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة:

من يعترض على تغير أحوال الجبال في القرآن الكريم يرتكز على أن هناك آيات ورد فيها أن الجبال ثابتة لا تتحرك، وهناك آيات أخرى ورد فيها أن الجبال لا تثبت على حالة واحدة، بل تتحرك تارة، وتتزلزل أخرى، وتُنسف ثالثة ... إلخ ما مر من أحوالها، وقد أوردنا من المنقول ما يدفع التعارض على ما مر في المطلب السابق، وفي هذا المطلب سنورد ما يدفع إيهام هذا التعارض من حيث العقل.

الاعتراض: حاصل هذا الاعتراض أن هناك تناقضا بين ظاهر هذه الآيات؛ لأن المستفاد من الآيات التي ذكرت أحوال الجبال قضيتان: القضية الأولى: الجبال ثابتة، والقضية الثانية: الجبال غير ثابتة، وهذا هو عين التناقض، وهو محال عقلًا.

الجواب: أنه لا بد من معرفة التناقض، وشروطه ليتبين للناظر أنه متحقق في هذه الآيات أو لا؛ أي: قبل أن نحكم على شيء بالتناقض لابد أن نقف على معنى التناقض، وأن نعرف شروطه؛ ليتسنى لنا الحكم بالتناقض ويكون الحكم في هذه الحالة حكما صحيحا، ودقيقًا.

أولا: تعريف التناقض:

التناقض هو اختلافٌ في القضيتين يقتضي لذاته أن تكون إحداهما صادقة وأن تكون الأخرى كاذبة؛ فلا بد من قيد (لذاته) في التعريف؛ لأنه ربما يقتضي اختلاف القضيتين تخالفهما في الصدق والكذب ولكن لا لذات الاختلاف بل لأمر آخر، وذلك مثل: كل إنسان كاتب ولا شيء من الإنسان بكاتب؛ فإنه لما كان الموضوع (إنسان) أخص من المحمول (كاتب) صدقت إحدى الكليتين وكذبت الأخرى، أما لو كان الموضوع أعم من المحمول لكذبا معا، وذلك مثل: كل حيوان إنسان ولا شيء من الحيوان بإنسان، وقد قصد العلماء بالاختلاف الذي يقتضي تخالفهما في الصدق: الاختلاف الذي يقتضي

ذلك في أية مادة كانت القضيتان، ومهما كانت النسبة بين الموضوع وبين المحمول كالاختلاف بين القضية الموجبة الكلية والقضية السالبة الجزئية(١).

ثانيا: شروط التناقض:

قد اشترط أئمة الفن لحصول التناقض الاتفاق في ثمانية أشياء؛ أي: إذا اتفقت قضيتان في هذه الأشياء كان بينهما تناقض، وإلا فلا، وهذه الشروط هي:

١ – الموضوع: فإذا تعدد لم يتناقضا، كقولنا العالم حادث والباري ليس بحادث، فإنهما لا يتناقضان وإنما يشكل هذا في لفظ مشترك، فإنا نقول العين أصفر، العين ليس بأصفر، ونريد بأحدهما الدينار وبالآخر العضو الباصر، ويقول الفقهاء مسألة فقهية: "الصغيرة مولى عليها في بعضها"، ويقولون: "الصغيرة ليس مولى عليها في بعضها"، وهم بذلك يريدون أن إحداهما: هي الثيب، والأخرى: هي البكر على منهاج إرادة الخاص بالعام، يعني أن الموضوع إذا لم يكن متعددا فإنه لا يحصل التناقض.

٢ – المحمول: يحدث التناقض بأن يكون المحمولُ في القضيتين واحدًا. أما إذا اختلفتِ القضيتان في المحمول، بأن لا يكون المحمولُ فيهما شيئًا واحدًا لم يتناقضا مثل: الإنسان حيوان، مع الإنسان ليس بحجر، فهنا نجد أن المحول مختلف؛ ولذلك لا يوجد بينهما تناقض.

٣ – الزمان: كقولنا الصبي له أسنان، ونعني به بعد الفطام، والصبي لا أسنان له ونعني به في أول الأمر. ونقول في الفقه: الخمر كانت حراما، نعني به في الأعصار

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين، لأبي الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، ط. دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٤ م، ١/ ٢٧٢، والجديد في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد مرعيد الكبيسي، ط. مطبعة جامعة بغداد، سنة: ١٤٠٣ م– ١٩٨٢ م، ص ١٦٩، ١٧٠، وشرح الدمنهوري على السلم = إيضاح المبهم من معاني السلّم، لأبي المعارف شهاب الدّين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الأزهري، المصدر: الشاملة الذهبية، ص ١٩.

السابقة، وكانت حلالا، ونعني به قبل نزول التحريم؛ فينبغي ألا تخالف إحدى القضيتين الأخرى إلا في الكيف فقط، فتسلب إحداهما ما أوجبته الأخرى على الوجه الذي أوجبته، وعن الموضوع الذي وضعه بعينه على ذلك النحو وفي ذلك الوقت.

٤ – المكان: فلا تناقض بين الارض مخصبة؛ أي: في الريف وبين الأرض ليست بمخصبة؛ أي: في البادية؛ لأن المكان غير متحد.

٥ – القوة والفعل: أي: يكون الحكمُ في القضيتين إما بالقوّة؛ أي: مجرد الاستعداد والقابلية، وإما بالفعل، لا أن يكون الحكمُ في إحداهما بالقوّة وفي الأخرى بالفعل، مثل: زيد عالم بالقوة؛ أي: لديه استعداد وقابلية لأن يكون عالمًا، زيد ليس بعالم بالفعل، ليس تناقضًا؛ إذ الحكم في إحداهما بالقوة، وفي الأخرى بالفعل.

٦ – الكل والجزء: ومثال ذلك: أن نقول أحمد أبيض بعضه، ونقول: أحمد ليس بأبيض كله، فهنا لا يوجد تناقض لاختلاف القضيتين بالجزء والكل؛ وذلك لأن المقصود: أن بعض أحمد أبيض كأسنانه وباطن كفه، وأما كله فليس بأبيض كشعره الأسود وقد تكون بشرته سوداء مثلا.

٧ – الشرط: فلا تناقض بين قولنا: الطالب ناجح في آخر السنة؛ أي: إن اجتهد وبين قولنا: الطالب غير ناجح؛ أي: إذا لم يجتهد.

٨ – الاضافة: كقولنا الأربعة نصف، وقولنا: الأربعة ليست نصفًا؛ أي: هي نصف الثمانية وليست نصف العشرة؛ فلذلك لا تناقض بين القولين، وفي الفقه نقول: "المرأة مولى عليها، ونقول: المرأة ليس مولى عليها؛ أي: مولى عليها في البضع لا في المال، وقد يضاف إلى البضع كلاهما ولا تناقض من جهة اشتراك لفظ المحمول، فإن أبا حنيفة يقول: مولى عليها إذ يتولى الولي نكاحها شرعا استحبابا أو إيجابا، وليس مولى عليها

أي تستقل بنفسها ولا تجبر على العقد[١]؛ فبعد الوقوف على معرفة معنى التناقض وشروطه يظهر لنا أنه لا يوجد تناقض بين الآيات التي ذكرت أحوال الجبال، وأن حكم العقل متفق معها؛ وذلك لأن من شروط التناقض الاتفاق في الزمان، ونحن نرى أن زمان أحوال الجبال الواردة في القرآن الكريم مختلف، ومتغير بالنسبة لتغيرات الجبال وأحوالها؛ فالنصوص التي ذكرت أن الجبال ثابتة، وأنها أوتاد للأرض إنما تتحدث عن الجبال في زمان الدنيا، وأما التي تتحدث عن تغير الجبال بداية من الدك والزلزلة، وانتهاء بالهباء المنثور إنما تتحدث عن الجبال يوم القيامة؛ فالزمان مختلف؛ فلا تناقض، وذلك كما لو قال قائل: زيد رضيع، وقال: زيد مقاتل شجاع، فإنه لا تعارض بينهما؛ لأن زمان المحمول متعدد، فالرضاعة كانت في زمان طفولته، والشجاعة والقتال في زمان كبره.

الاعتراض: إن الله تعالى قد أخبر أن الأرض والجبال يحمل كل منها ثم يدك، ومعلوم أن الأرض إنما تحمل الجبال فلم حصل عطف الجبال على الأرض فقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ أفلم يكن يغني أن يقال –أي في غير القرآن– وحملت الأرض فدكت ...إلخ؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]؟

الجواب: أن الله تعالى أعاد ذكر الجبال مع أنها داخلة في الأرض ليشعر المخاطبين بهول وشدة المشهد؛ وليبين عظمة هذه الرجة وهذا الدك، وهذا لا يمنع أن الجبال من الأرض، ولا يدل على التعارض بين الأرض والجبال[٢].

---

(١) ينظر: معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، ط. دار المعارف – مصر –، سنة: ١٩٦١ م، ص ١٢٢– ١٢٥، والرسالة الشمسية في القواعد المنطقية، لنجم الدّين عمر بن عليّ القزوينيّ المعروف بالكاتبي، د. ط، د. ت، ص ١٩.

(٢) ينظر: مصير الجبال من منظار قرآني، لعلي سواري، وسيد محمد رضا ابن الرسول، ص ٨٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فقد تم هذا البحث بفضل الله تعالى ومنته، والذي جمعت فيه أحوال الجبال، وبينت معنى ووقت كل حال منها، وقمت بدفع ما قد يرد على مجمل هذه الآيات من شبهات، أو اعتراضات، أو غير ذلك، مما سطرته أنامل علماء الإسلام الأجلاء، وبعد التزامي بالمنهج العلمي في إتمام هذا البحث وإنهائه توصلت في نهايته إلى مجموعة من النتائج، والتوصيات، وإليكم بيانها فيما يلي:

النتائج:

توصلت في هذا البحث إلى عدة نتائج، أهمها ما يلي:

- أن الإنسان عليه أن يخشى ويخاف من الله تعالى، فإن عذابه أليم وغضبه شديد، والإنسان لا يقدر على تحمل أهوال يوم القيامة، والتي ستتحقق لا محالة.
- أنه لا يوجد في القرآن الكريم أدنى ذرة من تناقض في حديثه عن أحوال الجبال في القرآن الكريم؛ لأنه كتاب حكيم لا يأتيه الباطل أو الشك من بين يديه ولا من خلفه.
- أن الأحوال التي تمر بها الجبال يوم القيامة مترتبة بعضها على بعض؛ فلا تتقدم حالة على غيرها.
- أن هناك ما أظهره الله تعالى من أحوال الجبال، وهناك ما أخفاه مما هو من الغيبيات، وشأن المسلم التسليم فيها، ويجوز الاجتهاد فيما لا يتعارض مع الآيات الأخرى.
- أن القضايا القرآنية أجدر بالدراسة، والبحث؛ لاستخراج فوائد ودرر القرآن الكريم، والاستفادة منها في الدنيا والدين.

التوصيات:

- توسيع دائرة البحث في هذا الموضوع من الناحية التفسيرية؛ إذ إن للمفسرين في هذا الموضوع نظرات خاصة ونافعة.

- تناول الآيات التي تتعلق بأحوال الجبال في القرآن الكريم من الناحية اللغوية؛ أي: بيان الإعجاز اللغوي في تلك الآيات.
- دراسة الدلالات الإيمانية لهذه الآيات، والاستفادة منها دعويا؛ إذ إن من مقاصد هذه الآيات زيادة الإيمان في نفوس المؤمنين.
- توسيع دائرة البحث عن الجبال لتشمل الحديث عن الجبال بشكل عام.
- عمل موسوعة مبسطة وميسرة تقوم على جمع الشبهات والاعتراضات الواردة على القرآن الكريم ونصوصه وقضاياه، وتفنيدها، وبيانها بأسلوب معاصر يصل إلى المتلقي بسهولة ويسر.

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن أكون قد قدمت في هذا البحث ما أخدم به كتاب الله تعالى، وأن أكون قد أثريت هذا الموضوع، وأعوذ به تعالى من النقصان بعد التمام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية – بيروت –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١١ – ١٩٩٠.
- أبكار الأفكار في أصول الدين، لأبي الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، ط. دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٤ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٨ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ط. دار إحياء التراث العربي– بيروت –، د. ط، د. ت، ٩/ ١١٤.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر :د. حسن عباس زكي – القاهرة، سنة: ١٤١٩ هـ.
- البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن، لمحمد أبي النور الحديدي، ط. مطبعة الأمانة، سنة: ١٤٠٢ هـ، ١٩٨١ م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط. دار الهداية، د. ت.
- تفسير أبي السعود، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت –، د. ت، د. ط.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط. عمادة البحث العلمي– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ.
- تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط. دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، د. ت.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط. دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة –، الطبعة: الثانية، سنة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر المعاصر – دمشق –، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٨ هـ.
- تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب مستو، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (سنة: ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ م) – الطبعة الثانية: (سنة: ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
- التفسير الوسيط للزحيلي، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٢ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، جزء ١٥: مارس، سنة: ١٩٩٨م.
- الجديد في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد مرعيد الكبيسي، ط. مطبعة جامعة بغداد، د. ط، سنة: ١٤٠٣ م– ١٩٨٢ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» المؤلف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر، ط. الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية – القاهرة –، الطبعة: الثانية، سنة: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- حاشية الدسوقي على أم البراهين، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، والحاشية: على شرح الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأم البراهين، ط. مطبعة عيسى بابي الحلبي، د. ت، د. ط.
- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر– بيروت. د. ت.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية، لنجم الدّين عمر القزوينيّ المعروف بالكاتبي، د. ط، د. ت.
- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، ط. دار الفكر– بيروت –.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط. دار الكتب العلمية – بيروت –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ط. مطبعة بولاق الأميرية – القاهرة –، سنة: ١٢٨٥ هـ.
- شرح الدمنهوري على السلم = إيضاح المبهم من معاني السلّم، لأبي المعارف شهاب الدّين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الأزهري، المصدر: الشاملة الذهبية.

- شرح مطالع الأنوار في المنطق، قطب الدين محمد بن محمد الرازي، ط. منشورات كتب النجفي، د. ت، د. ط.
- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي – بالهند –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، سنة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلمية – بيروت –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٦ هـ.
- فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: نور الدين طالب، ط. دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
- فضائل بيت المقدس، لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي، تحقيق: أيمن نصر الدين الأزهري، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط. دار الكتاب العربي – بيروت –، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٠٧ هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، سنة: ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م.
- لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د. ط، د. ت.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط. دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤١٤ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط. مكتبة القدسي، القاهرة، سنة: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط. جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة –، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية –، الطبعة: الأولى، جـ ٢، ٣ (سنة: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط. دار الكلم الطيب، – بيروت –، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٧ هـ.
- مصير الجبال من منظار قرآني، لعلي سواري، وسيد محمد رضا ابن الرسول، ط. آفاق الحضارة الإسلامية، أكادمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الرابعة عشرة، العدد الثاني، سنة: ١٤٣٣ هـ.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط.دار الصميعي، الرياض، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٨ هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحيقي: عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي، - بيروت -، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٠ هـ.
- معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، ط. دار المعارف- مصر، سنة: ١٩٦١ م.
- موسوعة أطراف الحديث، لمجموعة من المؤلفين، المصدر: الشاملة الذهبية، رقم ١٧١٥٥٢.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٣٥٠

مقدمة ١٣٥٢

أهداف البحث: ١٣٥٣

أهمية البحث: ١٣٥٣

أسباب البحث: ١٣٥٤

محتويات البحث..... ١٣٥٤

التمهيد: التعرف على البحث، وأهم مصطلحاته..... ١٣٥٥

المطلب الأول: في بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية لأهم ألفاظ البحث: .. ١٣٥٥

المطلب الثاني: العرض الإجمالي لأحوال الجبال يوم القيامة..... ١٣٥٧

المبحث الأول: إزالة الجبال من أماكنها وقلعها، والزلزلة، والرجة ١٣٥٩

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:..... ١٣٥٩

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال: ١٣٦٣

المبحث الثاني: دك الجبال، وتسويتها بالأرض ١٣٦٥

المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن حالة دك الجبال، وتسويتها بالأرض: ١٣٦٥

المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال: ١٣٧٣

المطلب الثالث: صور حال دك الجبال يوم القيامة:..... ١٣٧٥
المبحث الثالث تفتت الجبال، وصيرورتها كالصوف المنفوش..... ١٣٧٨
المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:..... ١٣٧٨
المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال: ١٣٨١
المبحث الرابع: صيرورة الجبال هباء منبثا، وصيرورتها سرابا ١٣٨٢
المطلب الأول: حديث القرآن الكريم عن هذه الحال:..... ١٣٨٢
المطلب الثاني: حديث السنة النبوية المطهرة عن هذه الحال: ١٣٨٥
المبحث الخامس: دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة، بالحجج النقلية، والحجج العقلية..... ١٣٨٧
المطلب الأول: الحجج النقلية في دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة: ١٣٨٧
المطلب الثاني: الحجج العقلية في دفع الأوهام والشبهات الموهمة للتعارض بين أحوال الجبال يوم القيامة: ١٣٩٢
الخاتمة..... ١٣٩٦
قائمة المصادر والمراجع..... ١٣٩٨
فهرس الموضوعات ١٤٠٥